تتمة سيرة الاستاذ الامام

(افتاء الديار المصرية وخدمة الاوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الامر العالي بناء على قرار مجلس النظار بتعيين الفقيد مفتيا للديار المصرية وكان الامير أيده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولا . وقد رأيته في أول الامر غير مرتاح الى هذا المنصب وإن كان شريفا لانه ليس فيه أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على ان يجعل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للاصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يعجز عن التوسل بأكبر منصب شرعي الى الخدمة المليّة العامة وكذلك كان فانه به خدم القضاء الشرعي والاوقاف الاسلامية أجل خدمة . وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد العارفين بفضله حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناهيك باستفتاء مثل مفتي بنجاب الهاه

كان أول عمل جليل له بعد ان صار مفتيا تفتيش المحاكم الشرعية في القطر كله وإظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فمنها ما كان من تقصير الحكومة ومنها ما هو من تقصير القضاة والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشا الافكار في دقة بحثه وتشخيصه داء هذه المحاكم ؛ ووصفه للعلاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجميع من شجاعته اذ خاطب الحكومة وسمى بيان تقصيرها وطالبها بإزالته . وقد أحالت الحكومة هذا التقرير على الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحقانية للبحث في تنفيذ ما تيسر تنفيذه منه بالتدريج

وكان رحمه الله صاحب الرأي المشير في مجلس الأوقاف الأعلى بما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لعمارة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبث الإرشاد في الأمة وقد نوهنا به في المنار من قبل ونشرنا في الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الامر العالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه وحده الله تعالى كان يتوسل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

عمله في مجلس الشورى

في سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ عين عضوا دائما في مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . فكانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفي نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطلع بما أوجد لأجله حتى ان جلساته كانت قلما تتم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله فتحت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحمله من الاعتبار ما لم تكن تحمله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب مالم تأخذ به وقوي رجاء أعضائه في خدمتهم وانتظم عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ما ترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤلف له لجنة تحت رياسة الفقيد لتدقق النظر فيه وتعرض رأيها على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي العالي والصوت المسموع في كل مسألة وكل مشروع فكنت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفي المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفي اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إماما فقيها » . وكان المجلس يعهد اليه مذاكرة الحكومة في الشؤون العظيمة ليكون الحد الاوسط في شكل القياس لتخرج النتيجة في خدمة البلاد صحيحة

وقد كانت أعمال المجلس تشتمل معظم وقته فكنت أتألم من ذلك لاعتقادي ان وقته أثمن من أن ينفق في خدمة المجلس فلا أكاد أجد فرصة الا وأرغب اليه فيها بالتخفيف والاقلال من الاشتغال بعمل المجلس حتى قلت له مرة ان الحكومة المصرية يشبه ان تكون أعمالها وقوانينها مؤقتة فهي عرضة للتغيير فربما عمل تتفق فيه أياما طويلة لتقره الحكومة على ما ترى انه أنفع للبلاد ولا تلبث هي بعد ان تقره ان ترجع عنه بعد زمن قصير أو طويل ويوشك ان تتفق في تحقيق بعض الأمور ايلاما كثيرة ثم لا يتيسر اقناع الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع وعندها مانع من العمل به ولو صرفت مثل هذه الاوقات في الكتابة والتأليف لكان ما تكتب هداية لهذه الامة باقية ما بقيت الامة : فقال ان الغرض الاول من العمل في المجلس هو التعاون مع الاعضاء على الجد والاهتمام بالبحث في الامور العامة ومصالح البلاد وتربية الرأي العام في الامة ليكون ذلك إعدادا لنفوس طائفة منا لفصل الاحكام بالشورى فاذا ارتقت هذه الملكة في الهيأة الحاضرة للمجلس فانها تنتقل منها الى الهيأة التي تخلفها ويكون ذلك جرثومة من جراثيم الاصلاح في البلاد . فلمست من هذا الجواب أنه لا يترك مذهبه في الاصلاح من طريقة التربية العملية في عمل من اعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا في عمله

عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية

يوجد في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد تعرفت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأمم ولكن ينوزهم شيء للحياة الاجتماعية في هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء وهو التعاون على الخدمة العامة والاعمال المشتركة وانك لا تكاد ترى في قطر إسلامي جمعيات ولا شركات ناجحة يرجى خيرها للأمة الا مبدأ به مسلمو الهند ومصر في ظل الحرية الانكليزية ، ولا يزال كثير في مهد الطفولية ، ولم تنجح في مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الاسلامية ولم تصادف جمعية منها ما صادفته هذه الجمعية من الصدمات ، التي يعز فيها الصبر والثبات ، وكان الفضل الأول في ثباتها ونجاحها للاستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فناوبها أعداء البشر بالسياسة وسعوا بها الى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد اليه شيء سياسي أو سري لغلت رسومها . ثم إنه خدمها بنفسه وبالتعاون مع أصفيائه المؤسسين لها مع وكيلها وأعضاء ادارتها لهذا العهد خدمة جليلة حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضمونا بحول الله وقوته . ومما انفرد به في خدمتها دعوة الأمراء والوجهاء والاغنياء الى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا قضت الحال بذلك

أسست الجمعية سنة ١٣٠٩ وفي سنة ١٣١٨ انتخب رئيسا لها فزاد اجتهاده في خدمتها وكان من ارتقائها في زمن رياسته ان صار إيرادها في السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيها وكان في سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيها وصارت

أطيانها ٣٣٣٠ فدانا وكانت قبيل ذلك ٢٨٠٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا وكانت أربعا . على أنه كان يرى أن الفائدة الأولى المقصودة بالذات من الجمعية هي تمويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة وإشعار قلوب الاغنياء عاطفة الرحمة والإحسان بالفقراء كما كان يصرح بذلك في الاجتماع العام السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه في تربية الأمة كما كان شأنه في غيرها جزاه الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

طبع الكتب النافعة وجمعية إحياء العلوم العربية

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الامة بدون حياة لغتها من المحال وان حياة العلوم العربية بمثل هذه الكتب الازهرية محال وان لا بد للاصلاح من إحياء كتب أئمتنا وكبار علمائنا التي ألفت أيام كان العلم حيا في الامة فكان يسعى لذلك سعيه ويهديه وإسعاده طبعا فيتلك الكتابين الجليلين اللذين هما روح علم البلاغة ـ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ـ للشيخ عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيد لهما واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبعهما . وفي سنة ١٣١٨ أسست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية إحياء العلوم العربية) كانت فاتحة أعمالها طبع كتاب (المخصص) لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير له في بابه ولا غناء عنه في إحياء اللغة في هذا العصر . وقد شرعت بعده في احياء مدونة الامام مالك وعني الفقيد رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم في بقائها وحسن خدمتها بهمة من كان وكيلها وليس لرئاستها بعد الفقيد سواه الا وهو حسن ناشا فاضم

﴿ مؤلفاته ـ بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب ﴾

(١ ـ الواردات) رسالة في الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية وأسلوبهم وهي أول تأليفه ولعلنا ننشرها برمتها في سيرته المطولة فقد كان أعطانا نسخة منها

(٢ ـ رسالة في وحدة الوجود) وهي رسالة نفيسة لم أطلع عليها ولكنه هو الذي أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم الجيلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددها من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظفر بها ونطبعها

(٣ ـ تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين وقال ان عبد الله النديم كان أخذ من المقيد نسخته في أثناء الثورة العرابية ونشر منه فصولا في جريدة الطائف بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع منه رحمه الله تعالى ذكرا لهذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئا الا وقد أخبرني به لأنه قص علي تاريخه بالتفصيل وكتب إلي شيئا مجملا منه كما علم القراء

(٤ ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ) هو الكتاب الذي ألفه أيام كان يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم كما ذكرنا في هذه السيرة وقد فقد هذا الكتاب عند ما عزله توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال وأخذت أوراقه. وكان طيب الله ثراه يقول أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب من وقع في يده ويدعه لنفسه ولو بعد موتي لينتفع به الناس

(٥ ـ حاشية عقائد الجلال الدواني) وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله وتحرير الخلاف بين المتكلمين وبيان ماهو لفظي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الحمشاب شرع في طبعها ولعلها تتم عن قريب

(٦ ـ شرح نهج البلاغة) وهو شهير جدا وقد طبع في بيروت مرتين وفي طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني) وهو مطبوع في بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه في ١٦ رمضان سنة ١٣٠٦

(٨ ـ شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون في المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه درسا في الجامع الازهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بعده وان كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الازهر تدريسها فيه وسيما الا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ ـ نظام التربية بمصر) رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأنفعه وستنشر في تاريخه

(١٠ ـ رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينسج ناسج على منوالها ولم تسمح قريحة بمثالها» هي التي يصح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويلم تلقينها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما في أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضعاف ماهو الآن، ولعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالسنوسية ، أو كالعقائد النسفية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل عنها ، توهما انها فى علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام فى هذه المقدمات ، وسائر مسائل الالهيات ، وجعل الكلام فيها كالكلام فى النبوة ومزايا الاسلام ، موجها الى العقل والى الوجدان ، لا مجرد تقرير وجيز للبرهان ، وقد قرأها درسا فى الأزهر وتلقيناها عنه

(١١ ـ تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصيته موضوعه مفيد حتى لغير القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لا سيما طلاب علم الفقه فانه يعطيهم من البصيرة فى طريقة التحصيل على الوجه الذي يغتصون به وينفعون مالا يجدونه فى سواه وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية . وأحوج الناس اليه بعد القضاة وكتاب المحاكم المرشحون للقضاء وللكتابة فى هذه المحاكم

(١٢ ـ الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) وهو مقالات كتبها لمجلة المنار ثم جردناها منه وطبعناها على حدتها وسميناها بهذا الاسم باذنه فجاءت كتابا مستقلا يناهز مئتي صفحة وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعه

(١٣ ـ تفسير سورة العصر) كتبه لينشر فى المنار اجابة لرغبتنا ورغبة بعض أهل العلم فى مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه فى تفسير السورة وقد كتب فى هامش تفسير جزء عم عند تفسير هذه السورة مانصه : «وقد كتبنا تفسيرا لهذه السورة الشريفة نشر وحده بعد ان طبع فى

مطبعة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درسا في مدينة الجزائر في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٢١ وفيه تفصيل طويل لما أجملناه في هذا التفسير المختصر فمن أراد بيانا أوسع ، وتفصيلا أبدع ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظيره ، اه أقول اننا طبعناه بالقطع الصغير ليوضع في الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام في تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ ـ تفسير جزء عم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجه أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف في عدة شهور وهذا شيء لم يعهد له نظير في المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأما مقالاته التي نشرت قديما وحديثا في الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جدا وكلها آيات بينات في العلم والدين والادب نفع الله بها وأعاننا على احيائها (للسيرة بقية)

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية ـ لصاحب الامضاء

بقية الكلام في النبوة

أليست العقائد الاسلامية أنزه العقائد وأبعدها عن مخالفة المعقول والوجدة في قوة الحجة ومتانة البرهان (انظر ما تقدم في المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها أجلى بيان . أليس في العبادات والاوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين